

# باب الزكاة من الإسلام

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: فإن الله -تعالى- خاطب هذه الأمة باسم الإيمان بناذهم بقوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } ويقول: ابن عباس -رضي الله عنه- وابن مسعود إذا سمعت الله -تعالى- يقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } فأرעהها سمعك أو فأصغ لها سمعك فإنها هو خير تؤمر به أو شر تنهى عنه. من ذلك قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رِعَايَةً وَفُولُوا نَظَرًا } هذا نادب من الله للمؤمنين، خص بذلك المؤمنين { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } . ومن ذلك قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } الخطاب لكل مؤمن كل المؤمنين المراد الذين عرفوا صحة نبوة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وصدقوا ما جاء به ووجدوا الله التزموا بتوحيده ناداهم الله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } ومن ذلك قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كَثِيرًا مِمَّا تَعْبُدُونَ } الخطاب لكل المؤمنين المتقدمين والمتأخرين كل المؤمنين يقال لهم يا مؤمنون { كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ } هذا يعم جميع المؤمنين. ومن ذلك قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصَ فِي الْقَتْلِ } -يعني- فرض عليكم ... { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصَ كَمَا كَتَبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ } الخطاب لكم أيها المؤمنون؛ وكذلك قوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً } أي ادخلوا في الإسلام الخطاب لكم أيها المؤمنون وهكذا مثل قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ } الخطاب لكم أيها المؤمنون أنفقوا واعتدوا ذلك قوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا } وكذلك { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَابَرْتُمْ يَدِينُ إِلَىٰ أَحَلِّ مُسَمًّى فَكُتِبَ لَهُ } . هذه آيات من سورة البقرة افتتحها الله بالخطاب للمؤمنين والآيات كثيرة في بقية السور يخاطب الله -تعالى- فيها المؤمنين يقول بعض العلماء: إن الخطابات في السور المكية جاءت بـ (يا أيها الناس) وذلك لأنها خطاب للناس جميعا وبـ (يا أيها الذين آمنوا) في السور المدنية لأنها خطاب لمن دخل في الإيمان لمن آمن من هذه الأمة ولا شك أن المؤمنين هم الذين يقبلون وهم الذين يلتزمون فيقال لهم: إنكم قد أمرتم بكذا وكذا فعليكم الامتثال إذا أمركم الله بأمر فافعلوه إذا كنتم مؤمنين؛ من المعلوم أنهم إذا كانوا مؤمنين فإنهم يلتزمون يقولون سمعنا وأطعنا سمعنا وطاعة لكلام الله وأمره وذلك لأنهم آمنوا إيمانا صادقا. ولذلك أخبر الله عنهم قال تعالى: في آخر سورة البقرة: { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ } أي والمؤمنون آمنوا بما أنزل إليه من ربه { كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكَيْفَهُ وَرَسُولَهُ } كلهم آمنوا بالله وربا وخالقا ومعبودا يقولون آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وأما برسول الله وبما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- وأمنوا بالكتب المنزلة لأن فيها شرع الله فأمنوا بها واعتقدوا بالله والله وأنه الذي شرعها وأنه الذي أمر بما فيها وأن ما فيها لا يجب قبوله. وأمنوا باليوم الآخر واستعدوا له وأمنوا بالملائكة وصدقوا ما جاء عنهم من الصفات وأمنوا بالكتب المنزلة السابقة فكل ذلك داخل في قوله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } يا أيها المؤمنون بالله؛ يا أيها المؤمنون بكتابه؛ يا أيها المؤمنون برسوله؛ يا أيها المؤمنون بملائكته؛ يا أيها المؤمنون بالمعاد والبعث بعد الموت؛ افعلوا ما أمرناكم به؛ وقد ذكر الله -تعالى- خصال الإيمان فذكر منها خمسة في سورة البقرة في قوله تعالى: { لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجْهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ } . ذكر أربع خصال آمن بالله والملائكة والكتب والنبين فجعل هذا كله من خصال الإيمان { وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } يعني البعث بعد الموت والملائكة يعني وآمن بالكتب وآمن بالنبين يعني بما أنزل على النبيين فهذه خمسة أركان من أركان الإيمان لا يتم إلا بها فمن أيها فإني يكون من أهل السعادة ويكون مطيعا لله -تعالى- ومتعبا لما جاء عنه. وأما من ترك أو جحد شيئا منها فليس بصادق الإيمان أو ليس بكامل الإيمان فمن جحد البعث بعد الموت فقد كفر وذلك لأن الله -تعالى- أكد في مواضع كثيرة وأقسم عليه في ثلاث آيات من القرآن الآية الأولى: في سورة بونس قال الله تعالى: { وَتَسْتَشِينُونَ لَكُمْ أَحَقُّ هُوَ لَكُمْ مِنْ رَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ } أقسم بربه أي أحلف لهم بربك أنه حق يعني أن البعث بعد الموت والجزاء على الأعمال حق وصدق لا خلف فيه هكذا أمره في هذه الآية بالحلف. وفي سورة ساء يقول الله تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ } أقسم بربه أن الساعة آتية كما قال الله تعالى لموسى { إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا } الساعة يعني وقتها وقيامها فأخبر بأنها آتية وأمره بأن يحلف بربه لما قالوا { لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ } . الموضوع الثالث: في سورة النعابن { رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ كُرُّهُنَّ لَيْسَ لِي وَرَبِّي لَتُنْعِنُنَّ ثُمَّ لِنَحْنُ بِمَا عَمِلْتُمْ } أمره بأن يحلف بربه لما ذكروا أنهم لا يبعثون وأن من مات منهم فإنه لا يعود ولا يعود إلى الحياة فأمره بأن يحلف بربه { قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُنْعِنُنَّ ثُمَّ لِنَحْنُ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } فالإيمان بالبعث بعد الموت وباليوم الآخر أحد أركان الإيمان لا يتم إلا به ومن كذب بالبعث كفر وذلك لأنه كذب خبر الله حيث أخبر في آيات كثيرة بأنكم معوثون ومحاسبون بأعمالكم وحجزون بها إن خيرا فخير وإن شرا فشر كثيرا ما يرد قرن الإيمان بالله باليوم الآخر يقتصر على ركنين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر. جاء ذلك في عدة أحاديث مثل قول النبي -صلى الله عليه وسلم- { من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه؛ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره؛ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت } اقتصر على ركنين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر ومثله قوله -صلى الله عليه وسلم- { لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج } اقتصر على الإيمان بالله واليوم الآخر. وقال -صلى الله عليه وسلم- { لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم ولبلة إلا مع ذي محرم } ذكرها بالإيمان بالله واليوم الآخر. وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة يقتصر على الإيمان بالله واليوم الآخر؛ وذلك لأن الإيمان بالله يدخل فيه بقية أركان الإيمان؛ فيدخل فيه الإيمان بوحدة الله -يعني- يدخل فيه الإيمان بأن الله -تعالى- واحد أحد؛ ويدخل فيه الإيمان بعبادته أي أنه المستحق للعبادة يؤمن بأنه هو المعبود وحده والمدعو والمرجو والمحبوب والمتوكل عليه وحده؛ ويدخل فيه الإيمان بأسمائه وصفاته وإن له الأسماء الحسنى والصفات العلى. ويدخل فيه الإيمان بأحكامه بأنه الذي أمر ونهى والذو الحكيم وعدل. ويدخل فيه الإيمان بأمره ونهيه ووجوب امتثال الأمر وامتثال النهي فمن أين الله عبده وأطاع رسله واتبع شرعه واستعد للقاءه وصدق وقبل كلامه وعمل بما فيه وأطاعه ولم يعصمه؛ ومن آمن باليوم الآخر -يعني- صدق بما فيه وتصديقا قويا فإنه يستعد للقاءه يعمل للأخرة؛ يعمل لما بعد الموت لأنه صدق بأنه يعذب أو ينعم في قبره وصدق بأنه أيضا يُبعث بعد موته ولو تفرقت أشلائه ولو أكله الدود ولو أكله التراب ولو صار رميما يعينه الله وبعده حيا كما كان. وصدق بيوم القيامة وأن الله يجمع فيه الأولين والآخرين وأنهم يجتمعون في ذلك اليوم كلهم يُسمعهم داعي وينفذهم البصر؛ وصدق أيضا بأنه يجازي كل عامل بعمله فيجازي المحسنين بإحسانهم والمسيئين بما يستحقون كما قال الله تعالى: { لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى } وصدق بأنه -تعالى- يدخل أوليائه الجنة وأعداه النار؛ وصدق بالليل وما فيها مما أخبر الله -تعالى- من العذاب الشديد كقوله تعالى: { سَوْفَ نُضَلِّهِمْ تَارَةً كَلِمَاتِهِمْ لِيُؤْتُوا جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ } وفي قوله تعالى: { كَلِمَاتٍ حَبَتْ رُذُلَهُمْ سَعِيرًا } وبما فيها من الشراب الحار شديد الحرارة قال تعالى: { وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يَعْثُبُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ } { يَعْثُبُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ } (المهل) هو دردي الزيت -يعني- حنائه وأهه يشديد الحرارة { يَتَّبِعُوا الْوَجُوهَ } إذا قره إلى وجهه من شدة حره انشوى وجهه وإذا شره يقطع أمعاءه. كما في الآية الأخرى يقول الله تعالى: { وَشَقِيقًا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ } (حميما) -يعني- شديد الحرق؛ وكذلك ما فيها مما ذكره الله في قوله: { حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا } وصدق بالجنة وما فيها من النعيم الذي ذكره الله مثل قوله تعالى: { قَلَّا تَلْمِزُ نَفْسًا مَا أَحْبَبْتَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةٍ لَعِينٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ومثل قوله تعالى: { وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }؛ وقوله: { يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ وَأَبْوَابُ وَأَنْبَارٌ وَكُلٌّ مِنْ مَعِينٍ لَا يَصُدَّقُونَ عَنْهَا وَلَا يَتْرَفُونَ وَقَاكِهَةٌ مِمَّا يَتَخَبَّطُونَ وَلَحْمٌ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَخُورٌ عَيْنٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ } صدق بذلك فإن هذا هو الذي يجب على المؤمن أن يصدق به كله ويكون هذا من الإيمان الذي هو ركيزة في القلوب. فلذلك تقول إن المؤمنين حقا: هم الذين يقبلون كل ما جاءهم عن الله سبحانه -وتعالى- ويعملون به ولا يتروكون شيئا من خصال الإيمان إلا عملوا بها؛ هذا هو الذي يجب على المؤمن؛ ولما كان كذلك اهتم علماء الأمة اهتماما بهذا الأمر الذي هو الإيمان وذلك لأن فيه ترسيخ العقيدة في القلب ومتى رسخ في القلب انبعثت في الجوارح وعمل الإنسان عمل بما أعطاه الله وبما أمره به؛ منهم الإمام البخاري -رحمه الله- فإنه اهتم بأمر الإيمان وقدمه في أول كتابه بعد المقدمة وذكر أن الأعمال من مسمى الإيمان فهو قال مثلا باب: "قيام ليلة القدر من الإيمان" وأورد فيه حديثا ثم قال باب: "الجهاد من الإيمان" وأورد فيه حديثا. باب: "قيام ليلي رمضان من الإيمان" وأورد الدليل باب: "قيام رمضان من الإيمان" وأورد فيه حديثا؛ وكذلك بقية خصال الأعمال فيقول هنا باب: "الزكاة من الإسلام" -باب- الإسلام خصل من خصال الإيمان أو أن الإسلام والإيمان قد يترادفان إذا ذكر الإسلام وحده دخل فيه الإيمان؛ وإذا ذكر الإيمان وحده دخل فيه الإسلام؛ استدلل هاهنا بقوله تعالى: { وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَنُؤُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } جعل الزكاة من خصال الإيمان وجعلها من الدين؛ وهو دليل على أن الدين يشمل بقية أركان الإسلام وأركان الإيمان وغيرها { دِينُ الْقَيِّمَةِ } أي دين الملة القيمة؛ أو دين الحنيفية القيمة؛ منه عبادة الله مخلصين له الدين، (الإخلاص) هو التصفية -يعني- أن دينكم لله وحده خالصا وهو من الدين إقام الصلاة من الدين إيتاء الزكاة من الدين. ثم يقول بعد ذلك: حديثا إسماعيليا وهو ابن أبي أوسين قال: حدثني مالك بن أنس عن عمه أبي سهيل بن مالك؛ مالك هو ابن أنس بن مالك الأصحبي؛ روى هذا الحديث عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه مالك الأصحبي أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول: { جاء رجل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صلى الله عليه وسلم- وأورد فيه حديثا ثم قال باب: "الجهاد من الإيمان" -يعني- منتشر الرأس كأنه كان مكشوفاً رأسه وكان رأسه شعثا فجاء إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلما أقبل وإذا له دوي يقول طلحة تسمع دوي صوته ولا تفقه ما يقول حتى دنا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فإذا هو يسأل عن الإسلام يسأل عن خصلة من دينه وهو الإسلام. النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر له الصلاة فقال: خمس صلوات في اليوم والليلة فقال: هل علي غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع؛ قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وذكر له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الزكاة فقال: هل علي غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع }؛ ما ذكر طلحة في هذا إلا اثنا من أركان الإسلام الصلاة والزكاة والصيام وذلك لأن طلحة كأنه لم يفقه كلامه كاملا ولم يفقه كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذكر هذه بالمعنى { فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفلح إن صدق } النبي -صلى الله عليه وسلم- فسر الإسلام في هذا الحديث الصلاة والزكاة والصوم والتزم ذلك الرجل أنه لا ينقص ولكن التزم بأنه لا يزيد؛ وليس المراد أنه لا يتطوع ولكن المراد أنه لا يضيف إليها غيرها ولا يجعل سواها فلا يتبدع بدعة الصلوات الخمس فكانه يقول التزم بالصوم والخمس ولا أجعلها سنا ولا يسعا؛ وكذلك التزم بالزكاة ولا أجعلها مغرما. التزم بالصيام ولا أجعلها أربعين يوما مثلا ولا أجعلها في غير رمضان؛ ولكن لا يلزم أنه لا يتطوع لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد أخبره بأن له أن يتطوع؛ لا أن يزيد تطوعا فلا يلزم أنه لا يصلي النوافل ولا يصلي التهجذ ولا يصلي الضحى بل يمكن أنه التزم بذلك كله التزم بالفرائض والتطوع. ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم- { أفلح إن صدق } -يعني- إذا التزم وأدى ما أمر به وتجنب ما نهى عنه فقد أفلح -يعني- فاز (الفلاح) هو الفوز؛ ففي هذا الحديث أن الإسلام تدخل فيه هذه الأركان؛ قد ثبت أيضًا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- فسره؛ فسره: ... من أجل بشيء منها فإنه يعتبر قد نقص من إيمانه، نقص شيئا من دينه، فعليه أن يحصر على تكلمة ما عنده وما بقي له من أمر الدين.